

## خَيْرُ الصَّدَقَةِ الْمَاءُ وَالْمَنِيحَةُ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْمُحَدِّثُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْهَرِّي

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الحمد لله وصلى الله على رسول الله أما بعد، فَقَدْ ثَبِتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُ الصَّدَقَةِ الْمَاءُ وَالْمَنِيحَةُ"، الْمَنِيحَةُ: هِيَ الشَّاةُ اللَّبُونُ يُعْبِرُهَا لِشَخْصٍ حَتَّى يَشْرَبَ حَلِيبَهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا لَهُ وَقَوْلُهُ: "خَيْرُ الصَّدَقَةِ" مَعْنَاهُ مِنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَاتِ. فِي الْمَاضِي الْمَاءُ كَانَ يُبَاعُ لِلْحَجَّاجِ يَدُورُونَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْقَرْبَةَ الَّتِي فِيهَا مَاءٌ يَسْقُونَ هَذَا وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً وَيَسْقُونَ هَذَا وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً وَهَكَذَا يَدُورُونَ عَلَى الْأَلْفِ، فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّذِي يَسْقِي شَخْصاً وَاجِداً مَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ أَجْرَهُ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ لِأَنَّ الْحَرَكَانَ شَدِيداً أَمَّا الَّذِينَ كَانُوا يَدُورُونَ لِأَجْلِ الْمَالِ فَقَطْ فَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ إِنَّمَا الَّذِي يَنْبَرِّعُ هُوَ الَّذِي لَهُ هَذَا الْأَجْرُ الْعَظِيمُ، الْحَاجُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمَاءُ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَمَنْ سَقَى وَاجِداً مِنَ الْحَجَّاجِ فَأَجْرُهُ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ، فِي الْمَاضِي كَانُوا يَحْمِلُونَ الْمَاءَ عَلَى ظُهُورِهِمْ وَيَبِيعُونَهُ هَذَا كَانَ شُغْلَهُمْ، حَتَّى لِلْوَضُوءِ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ أَي مِنْ نَحْوِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً كُنَّا نَسْتَرِي الْمَاءَ فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَكِنْ زُبَيْدَةُ رَحِمَهَا اللَّهُ وَهِيَ امْرَأَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَمَلَتْ عَمَلًا كَبِيرًا أَجْرَتْ الْمَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ إِلَى عَرَافَاتٍ يُقَالُ لَهُ مَاءٌ زُبَيْدَةٌ لَوْلَا هَذَا الْمَاءُ لَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْحَجَّاجِ، هِيَ عَمَلَتْ ذَلِكَ لِوَجْهِ اللَّهِ رَأَتْ مَنْاماً أَنَّ كُلَّ النَّاسِ يُجَامِعُونَهَا، فَقَصَّتْ لِمُعَبَّرٍ عَالِمٍ يَعْرِفُ التَّعْبِيرَ فَقَالَ لَهَا تَعْمَلِينَ عَمَلًا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ فَأَجْرَتْ هَذَا الْمَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ تَحْتَ الْأَرْضِ، إِلَى الْآنَ هَذَا الْمَاءُ مَوْجُودٌ، فِي الْمَاضِي نِسَاءُ الْمُلُوكِ كُنَّ يَعْملُنَ مَبْرَاتٍ فِيهَا خِدْمَةٌ كَبِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، أَمَا الْيَوْمَ صَارَ التَّنَافُسُ بَيْنَهُنَّ فِي بِنَاءِ الْقُصُورِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، الْآنَ هُوَ لَاءِ الْوَهَابِيَّةِ يَقُولُونَ الْأَمِيرَةُ فَلَانَةَ بَنَتْ كَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا فِي مَنَى وَفِي مَكَّةَ لِلنَّفَاحِرِ، وَهِنَّ لَا يَحْتَجِبْنَ لِأَنَّهَا تَسْكُنُ فِي الرِّيَاضِ وَقَدْ تَسْكُنُهُ مُدَّةً فِي وَقْتِ الْحَجِّ ثُمَّ تَنْزِرُكُهُ. هَذِهِ الْأَمْوَالُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تُحْيِي أَلْفًا مِنَ الْفُقَرَاءِ يَصْرِفُونَ الْمَالَ الْكَثِيرَ وَرِجَالُهُمْ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي بَعْضِ النَّوَاحِي يَقْتُلُهُمُ الْجُوعُ. أَحَدُهُمْ بَنَى بِنَاءً بِمِليَارِي رِبَالٍ وَلَا يَسْكُنُهُ فِي الْعَامِ إِلَّا نَحْوَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا وَقَدْ لَا يَسْكُنُهُ.

معنى ما جاء في الحديث "رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ" أَي بَحِيثٌ لَا يَرَى مَنْ عَلَى شِمَالِهِ مَا تُنْفِقُ يَدُهُ الْيُمْنَى، مَعْنَاهُ يُخْفِي إِخْفَاءً شَدِيداً صَدَقْتُهُ لَمَّا يُنَاوِلُ الْفَقِيرَ الْمُحْتَاجَ، يُبَالِغُ فِي الْإِخْفَاءِ بَحِيثٌ لَا يَتَّبِعُهُ مَنْ عَلَى بَسَارِهِ جِبِينَ يُعْطِي الصَّدَقَةَ لِهَذَا الْفَقِيرِ الْمُحْتَاجِ، مَنْ يُخْفِي الصَّدَقَةَ الَّتِي يُنْفِقُهَا مِنْ مَالٍ حَلَالٍ قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ لِرُؤْيَا اللَّهِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يُصِيبُهُ أَدَى حَرِّ الشَّمْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

المَوْقِفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاسِعٌ، الْأَرْضُ تُمدُّ مَدًّا لَيْسَ فِيهَا جِبَالٌ وَلَا وَهَادٌ وَلَا أَشْجَارٌ وَلَا يُوجَدُ هُنَاكَ طَرِيقٌ مَسْلُوكٌ، الْمَلَائِكَةُ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ فَتَسْمُ بِوَقْفَتِهِمْ فِي الشَّمْسِ وَتَسْمُ بِأَخْذَتِهِمْ إِلَى مَكَانٍ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الشَّمْسُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ، ذَلِكَ الْيَوْمُ بِحِسَابِ أَيَّامِنَا هَذِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، مِنْ وَقْتِ خُرُوجِ النَّاسِ مِنَ الْقَبْرِ إِلَى اسْتِقْرَارِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ هَذَا الْيَوْمُ الطَّوِيلُ اللَّهُ يَجْعَلُهُ لِلنَّعِيِّ كَنَدَلِي

الشَّمْسُ لِلْعُرُوبِ قَدْرَ سَاعَةٍ تَقْرِيباً اللَّهُ يَمْلَأُ قَلْبَ التَّقِيِّ سُرُوراً فَلَا يَمَلُّ وَلَا يُحْسُ بِطُولِ الْوَقْتِ لِأَنَّ اللَّهَ مَلَأَ قَلْبَهُ سُرُوراً أَمْرُ الْأَخْرَةِ غَرِيبٌ، وَهَكَذَا لَمَّا يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ لَا يَمَلُونَ وَلَا يَحْتَاجُونَ لِلنَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ نُفُوسُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ لَا تَحْتَاجُ لِلنَّوْمِ وَهَذَا كُلُّهُ بَعْدَ أَنْ تُدَكَّ أَي تَحْتَطَمَ هَذِهِ الْأَرْضُ، جِبَالُهَا وَأَشْجَارُهَا وَالْأَنْبِيَاءُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا كُلُّهَا تَنْدُكُ ثُمَّ قَبْلَ ذَلِكَ اللَّهُ يَحْمِلُ الْعِبَادَ إِلَى ظِلْمَةٍ عِنْدَ الصَّرَاطِ يُحْمَلُونَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ إِلَى هُنَاكَ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَرْضُ وَتَحْوِيلُهَا أَرْضاً بَيْضَاءَ يُعِيدُهُمُ اللَّهُ إِلَيْهَا وَهُنَاكَ فِي قِسْمٍ مِنَ الْوَقْتِ النَّاسُ يَكُونُونَ وَقُوفاً بِلَا كَلَامٍ لَا يُسْأَلُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يَأْتِي إِذْنٌ فَيَتَكَلَّمُونَ جُمْلَةً. الْأَوْقَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُورَعَةٌ عَلَى أَسْيَاءٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} أَي قِسْمٌ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُسْأَلُ أَحَدٌ فِيهِ عَنْ ذَنْبِهِ يَتْرَكُونَ سُكُوتاً وَهَذَا الْوَقْتُ الَّذِي لَا يُسْأَلُ فِيهِ أَحَدٌ قَدْرُ أَلْفِ سَنَةٍ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُوْجَدُ فِيهِ شُرُوقٌ وَلَا غُرُوبٌ الشَّمْسُ تَكُونُ وَاقِفَةً فِي الْفَضَاءِ ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحِسَابِ هَذِهِ الْأَرْضُ تُرْمَى فِي جَهَنَّمَ أَمَّا السَّمَاوَاتُ تُوضَعُ فِي الْجَنَّةِ وَالْمَسَاجِدُ تُنْقَلُ إِلَى الْجَنَّةِ وَرَدَّ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَسَاجِدَ تُرْفُ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا تُرْفُ الْعُرُوسُ. أَمَّا مَسْجِدُ الرَّسُولِ الَّذِي يَكْتَنِفُ الْيَوْمَ الْقُبُورَ الثَّلَاثَةَ قَبْرِ الرَّسُولِ وَأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو الَّتِي صَارَتْ فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ يُنْقَلُ إِلَى الْجَنَّةِ الرَّسُولُ أَوَّلُ مَنْ يُنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ثُمَّ بَعْدَهُ سَائِرُ الْبَشَرِ تَنْشَقُّ عَنْهُمْ الْقُبُورُ هَذِهِ الْأُمُورُ الرَّسُولُ أَخْبَرَ عَنْهَا الْأَنْبِيَاءُ أَوَّلًا تَنْشَقُّ عَنْهُمْ الْقُبُورُ ثُمَّ أَتْبَاعُهُمْ، الْآنَ الْعَرْشُ وَاقِفٌ فِي الْفَضَاءِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ، اللَّهُ أَمْسَكَهُ بِقُدْرَتِهِ مِنْ أَنْ يَهْوِيَ إِلَى أَسْفَلٍ، وَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَاقِفَةٌ فِي الْفَضَاءِ مِنْ غَيْرِ أَعْمَدَةٍ كَذَلِكَ الْبَشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ تُدَكَّ الْأَرْضُ اللَّهُ يَحْمِلُهُمْ بِقُدْرَتِهِ فِي تِلْكَ الظِّلْمَةِ ثُمَّ بَعْدَ تَحْوِيلِ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ يُعِيدُهُمُ إِلَيْهَا وَهَذِهِ الْأَرْضُ كَذَلِكَ مَحْمُولَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ أَمْسَكَهَا بِقُدْرَتِهِ لَهَوَتْ إِلَى أَسْفَلٍ كَذَلِكَ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْتَهَا مَحْمُولَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَيْسَ لَهَا أَعْمَدَةٌ تَرْتَكِرُ عَلَيْهَا. الْبَشَرُ لَمَّا يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ الْمَلَائِكَةُ يَسُوفُونَهُمْ إِلَى بَرِّ الشَّامِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُنْقَلُونَ إِلَى تِلْكَ الظِّلْمَةِ عِنْدَ الصَّرَاطِ ثُمَّ بَعْدَ تَبْدِيلِ الْأَرْضِ يُعَادُونَ إِلَيْهَا فَيَكُونُ الْحِسَابُ عَلَيْهَا ثُمَّ بَعْدَ أَنْ يُنْقَلُوا قِسماً إِلَى الْجَنَّةِ وَقِسماً إِلَى النَّارِ وَلَا يَبْقَى فِيهَا أَحَدٌ يَرْمِي اللَّهُ الْأَرْضَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى تَكُونَ زِيَادَةً فِي الْوَقُودِ لِلْكَفَّارِ. وَمِمَّا يَحْصُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ الْكَفَّارَ يُسْأَلُونَ فَيُنْكِرُونَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ فَخَتِمَ اللَّهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فَيَرْدَادُونَ خَزِيئاً وَخُزناً كَذَلِكَ الْأَرْضُ الَّتِي فَعَلَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنْ حَسَنَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا اللَّهُ تَعَالَى يُعِيدُهَا فَتَشْهَدُ عَلَيْهِ تَنْطِقُ وَتَقُولُ فَلَانْ فَعَلَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا فِي وَفْتِ كَذَا وَكَذَا، هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَحْصُلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَأْتِي يَوْمٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تُكَلَّمُ فِيهِ السَّبَاعُ الْإِنْسَ اللَّهُ يُنْطِقُ السَّبَاعَ فَيَتَحَدَّثُونَ مَعَ الْإِنْسِ وَعَذَابُ السُّوْطِ تُكَلَّمُ صَاحِبُهَا اللَّهُ تَعَالَى يُنْطِقُهَا، عَذَابُ السُّوْطِ أَي طَرْفُهَا اللَّيْنُ رَأْسُهَا، أُمُورٌ غَرِيبَةٌ جِدًّا تَظْهَرُ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ إِدْخَالِ الْكَفَّارِ إِلَى جَهَنَّمَ يَأْخُذُونَ قِطْعَةً مِنْ جَهَنَّمَ وَيَأْتُونَ بِهَا إِلَى جِهَةِ الْمَوْقِفِ الْكَفَّارِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا فَيَقْلُقُونَ قَلْقاً شَدِيداً مِنْ رُؤْيَيْهَا أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَقْلُقُونَ لِأَنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَنَّ هَذِهِ لِلْكَفَّارِ ثُمَّ يُعَادُ هَذَا الْعُنُقُ إِلَى أَصْلِ جَهَنَّمَ هَذِهِ الْقِطْعَةُ الْكَبِيرَةُ تُعَادُ إِلَى جَهَنَّمَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَجْرُونَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ بِسَلْسِلٍ. ثُمَّ كُلُّ شَخْصٍ مِنْ أَوْلَى مَا يَخْرُجُ مِنَ الْقَبْرِ يَكُونُ مَعَهُ مَلَكَانِ مَلِكٌ خَلْفُهُ وَمَلِكٌ أَمَامَهُ يَسُوقَانِهِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذُوهُ هَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنْ كِبَرِهَا وَعَظْمِهَا يُؤْتَى بِهَا إِلَى مَسَافَةٍ يَكُونُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَوْقِفِ أَرْبَعُونَ سَنَةً مِنْ عَظْمِهَا وَكِبَرِهَا يَرَوْنَهَا وَهُمْ بَعِيدُونَ مِنْهَا مِنْ مَسَافَةٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً كَمَا أَنَّنَا نَرَى هَذِهِ السَّمَاءَ وَهِيَ بَعِيدَةٌ مِنَّا مَسَافَةً حَمْسِمِائَةَ سَنَةَ السَّمَاءِ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ بِمَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ بَابٌ مِنَ أَبْوَابِ السَّمَاءِ مَسِيرَةٌ عَرْضُهَا سَبْعُونَ سَنَةً وَيُوجَدُ أَبْوَابٌ أُخْرَى غَيْرُ هَذِهِ فَمَاذَا يَكُونُ جُمْلَةُ السَّمَاءِ إِذَا كَانَ بَابٌ مِنْهَا هَذَا مِسَاحَتُهُ لِذَلِكَ السَّمَاءُ يَرَاهَا أَهْلُ الْأَرْضِ بِدُونَ تَعَبٍ أَيْنَمَا كَانُوا السَّمَاءُ دُونَهَا طَبَقَاتٌ مِنَ الْغُيُومِ وَالسَّحَابِ السَّمَاءُ هِيَ هَذِهِ الَّتِي لَوْئُهَا تُسْمَوْنَهُ أَرْزَقَ لَكِنَّ الرَّسُولَ سَمَاهَا حَضْرَاءَ كُلِّ مَا سِوَى الْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ يُقَالُ لَهُ أَخْضَرَ هَذِهِ السَّمَاءُ لَمَّا يَكُونُ صَحْوٌ نَرَاهَا. قَالَ الشَّاعِرُ وَهُوَ شَاعِرٌ مِنْ شَعْرَاءِ الْعَرَبِ وَكَانَ أَسْوَدَ اللَّوْنِ:

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ مِنْ نَسْلِ الْعَرَبِ

الأَرْضُ تُسَمَّى غِبْرَاءَ وَالسَّمَاءُ تُسَمَّى خَضْرَاءَ وَالْأَرْضِي السُّتَّةُ غَيْرُ أَرْضِنَا هَذِهِ كَذَلِكَ تُرْمَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي  
جَهَنَّمَ الْأَرْضِي السُّتَّةُ الْآنَ فِيهَا مِثْلُ الَّذِي عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْهَارٍ وَبِحَارٍ وَأَشْجَارٍ وَوُحُوشٍ وَبِهَائِمٍ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ إِلَّا الْإِنْسُ، فِي كُلِّ أَرْضٍ نَحْوُ مَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عِنْدَ  
تَفْسِيرِ آيَةِ {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} قَالَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَحْوُ مَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ أَي  
مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَي غَيْرِ الْبَشَرِ.